تاريخ الإرسال: 2013/01/17 - تاريخ القبول للنشر: 2013/05/20 تاريخ النشر: 2013/06/25

نماذج لإسهامات الجزائريين في تطوير التنظيمات الإدارية في المغرب الأقصى 1880 1956

محمد الشيخ برابح
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الجلفة

لم يتوان أبناء الجالية الجزائرية في المشاركة والإسهام في مختلف مناحي الحياة في المغرب الأقصى لشعورهم الدائم بالانتماء لهذا الوطن، فقد وجدت العشرات من الإطارات والكفاءات الإدارية التي تركت بصماتها وآثارها على مختلف الإدارات المخزنية المغربية، لاسيما في الفترة الممتدة مابين1880 ـ 1956 وهي الفترة المليئة بالأحداث حيث سطع نجم الكفاءات الجزائرية هناك خاصة الكفاءات الإدارية و المترجمين والدبلوماسيين .

مشاركة أبناء الجالية الجزائرية في الإدارات المخزنية

ساهم الجزائريون مساهمة كبيرة في نهضة المغرب الأقصى ورفعوا من مستوى الأداء الإداري لكثير من الوظائف المخزنية، لما عرف به الجزائريين من تفاني وتنظيم ووفاء ونصح، فحظي أبناء الجالية بكامل الرعايا زمن السلطان عبد الرحمن بن هشام. « في هذا الإطار صار في الاعتبار، على قدم المساواة مع زملائهم بفاس وغيرها، هذا إلى أنه رشح أفراد منهم لمنصب القضاء بطنجة ومراكش ووجدة فضلا عن منحه لأسر منهم ظهائر تنويه واحترام، وهو ما استمر مع أيام السلاطين محمد الرابع، والحسن الأول والملوك اللاحقين من أبنائه».(1)

نظرا للكفاءة العليا التي كان يتمتع بها الإطار الجزائري في المغرب، من حسن التعامل والثقافة الواسعة فقد استنجد به المخزن في شغل العديد من الوظائف والمهن الإدارية وكان الجزائريون بالفعل هم نواة بناء وإصلاح الإدارة المغربية الحديثة، وفي نفس السياق استعانت إدارة الحماية الفرنسية بالعديد من الأطر الجزائرية في تسيير شؤون مؤسساتها وإداراتها وقد أشار أحد المختصين بشان الجالية الجزائرية بالمغرب بقوله: «... فهي في حاجة إلى اطر تجيد اللغتين العربية والفرنسية بل وحتى الأمازيغية وتعرف العادات

الإسلامية في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكانت الجزائر خزانا لكل هذه الكفاءات فأخذت تنتقل إلى المغرب منذ السنوات الأولى للحماية أعدادا من الإطارات الجزائرية الراغبة في تحسين أوضاعها المادية والاستفادة من فرص الترقية الإدارية التي لا تمنحها الإدارة الاستعمارية في الجزائر «.(2)

إن أبناء الجالية الجزائرية في المغرب الأقصى تباينت نشاطاتهم الإدارية وتعددت وظائفهم، وأصبح المخزن لا يستغني عن قدراتهم وكذا إدارة الحماية التي وفرت لهم كل الامتيازات مقابل شغل المناصب الإدارية، فالمقيم العام ليوتي على عهده استنجد بموظفين جزائريين، من أمثال نهليل الضابط والمترجم وإسماعيل حاميت الضابط والمترجم قدور بن غبريط.(3)

إن كفاءة أبناء الجالية الجزائرية وثقافتهم، هي التي فتحت أمامهم أبواب الوظائف المحلية وحتى الوظائف السامية في المخزن بما في ذلك إدارة الحماية، لذلك أصبحت مطلوبة بشكل يوحي بأن الإدارة المغربية بعثت مع الكفاءات الجزائرية وهنا نتوقف عند مجموعة من الوظائف الإدارية والمخزنية التي تقلدها الجزائريون بطلب من المخزن و أبرزها:

تواجد الجزائريين في سلك القضاء:

تعتبر المناصب الإدارية في جهاز القضاء بالمغرب الأقصى، من بين المناصب الحساسة والهامة، لما لها من تأثير مباشر على حياة الناس من جهة، واستقرار نظام الحكم من جهة أخرى، فدرجة الجهاز القضائي درجة رفيعة جدا في الحياة الإدارية، لا توكل إلا لمن توفرت فيهم شروط المعرفة والنزاهة والاستقامة والكفاءة والأمانة والصدق، وكان أبناء الجالية الجزائرية يتوفرون على علم غزير في الفقه والتفسير وأصول الدين، لذلك وقع على كاهل الكثير منهم تولية القضاء، على مستوى العديد من المدن والحواضر المغربية وهذا بشهادة المغاربة أنفسهم،فالوظائف القضائية وخاصة منصب القاضي كان يتم تعيينه من طرف السلطان شخصيا، ويتمتع باستقلال كبير وليس لعامل العمالة (الإقليم)، أي سلطة عليه فهو ينظر في القضايا المدنية والتجارية والخلافات والنزاعات، وفق المذهب المالكي ويدخل ضمن اختصاصاته إثبات عقود البيع وتصفية التركات و يحقق في أمور القتل(4).

لقد ساهم أبناء الجالية في إرساء دعائم وزارة العدلية، من خلال التحاقهم بالكثير من المناصب العدلية والقضائية الراقية، عبر مختلف المدن المغربية، كما أن التعيين في جهاز العدلية يخضع لتدقيق وتمحص كبير من خلال البحث عن أخلاق القاضي وعلمه وثقافتـه ومكانتـه وهو بنفس الأهمية لدى المخزن و المكانة مع عامل الإقليم .(5)

ومن خلال هذا البحث المتواضع، الذي قمت به من خلال المصادر والمراجع المغربية والجزائرية على حد سواء تمكنت من الوقوف على عدد هائل من القضاة وموظفي الجهاز القضائي، الذين تقلدوا تلك الوظائف في مختلف المدن والحواضر المغربية، فمن أبناء الجالية الجزائرية الذين امتهنوا مناصب العدلية في جهاز القضاء المغربي منهم:

عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي: كان مربيا وواعظا ومرشدا

سلفي العقيدة وكاتبا وخطيبا، ولد بتلمسان سنة 1264هـ 1848 م، نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم والدين والذكاء، انتقل مع والده إلى المغرب، وأكمل تعليمه في طنجة وتطوان ثم دخل جامع القرويين، وتولى بعدها مهام قضائية وفي آخر حياته عاد إلى الجزائر.(6)

القاضي أبو عبد الله محمد المجاوي، الذي ينحدر من بيت الشيخ الإمام سيدي عبد الجليل، استقر به المقام بمدينة فاس وتولى مهنة القضاء بمدينة طنجة لسنوات عدة.(7)

القاضي العربي بن الحبيب، تولى منصب قاضي في 26 جويلية 1892، وكان قاضيا في وجدة، واستمر لسنوات عدة إلى غاية أن طلب إعفاؤه من منصبه سنة 1910.(8)

تميز في عمله بالصدق والصرامة والنزاهة والعدل وكانت له روابط عديدة مع علماء المغرب وبسبب حزمه دبرت له مكيدة فذهب ضحية وشاية من طرف عامل عمالة وجدة أحمد بن كروم الجبوري المكناسي قصد عزله من منصب القضاء بوجدة،(9) وذلك بمشاركة عبد الصادق رئيس الحامية العسكرية، وهو ما أدى به في إلى إقصائه من وظيفة القضاء بظهير ملكي، بتاريخ 06 جانفي 1906م، وتعين سيدي الهاشمي بن روكش الذي كان يعمل إماما بجامع حدادة خلفا له.(10)

وبعد سنتين من إقصائه من منصب القضاء، رد له المخزن الاعتبار ونوه بخصاله الحميدة بواسطة ظهير حفيظي بتاريخ 22 أكتوبر 1909 م ورغم التشريف الذي حظي به من طرف السلطان عبد الحفيظ الذي طلب منه العودة لمنصبه الأصلي، إلا أن القاضي العربي بن الحبيب رفض ذلك عام 1910 و اهتم برعاية أمواله وشؤونه الخاصة .(11)

عبد القادر الشركاوي الراشدي: ولد سنة 1855 بتلمسان هاجر مع أسرته إلى المغرب درس بجامع القرويين، كان واعظا ومرشدا وخطيبا امتهن التدريس سنوات طويلة، تولى القضاء بمدينة مراكش عام 1900.(12)

كما ذكر أبو عبد الله السليماني مجموعة كبيرة من القضاة الجزائريين، ينتمون إلى نفس العائلة وهي عائلة المشرفي،(13) ومنهم قاضي القضاة أبو عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسني وابن عمه الفقيه سيدي عبد القادر بن الشيخ وسيدي محمد بن المصطفى قاضي قبيلة الحيانية، فضلا عن عبد الله المشرفي السقاط الذي كان موظفا بالمخزن واحتفاظ المخزن به وتقريبه منه كان بدافع الابتعاد عن الأخطار وضمان استقرار المملكة من المساوىء .(14)

كما أن أبناء الجالية الجزائرية من الجيل اللاحق، امتهن العديد منهم مهنة القضاء أمثال القاضي أبو العباس أحمد بن الهاشمي المراحي المعسكري وسيدي محمد بن حمادة وهو من أصول جزائرية، من منطقة معسكر هاجر إلى المغرب، تولى القضاء بنواحي قبيلة أولاد عمروا.(15)

وكذلك القاضي الشرعي عبد السلام بن الغالي ولد في 26 جويلية 1851، تنحدر أسرته من نواحي مدينة تلمسان، تعلم بجامع القرويين بفاس، انتقل بعدها إلى مدينة مراكش سنة 1872، وسافر بعدها إلى تونس والتحق بالزيتونة، ثم سافر مرة أخرى إلى الإسكندرية ومنها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج سنة 1877 م، ثم قفل راجعا إلى المغرب وتحديدا إلى مدينة مراكش حيث تقلد بها مناصب إدارية رفيعة منها قاضي قضاة مراكش لتوافيه المنية سنة 1916، بعدما أوصى بدفنه في تلمسان لكن أمنيته لم تحقق.(16)

ومن القضاة المشهورين أيضا محمد بن عبد السلام الشرعي، المولود بمدينة مراكش ومن أصل جزائري وبالتحديد من غريس، ولد في حدود 1885 م، درس بالقرويين على يد مجموعة من الشيوخ، تولى العديد من المناصب والوظائف المخزنية، أبرزها مساعد لوالده الذي كان قاضيا بمدينة مراكش، ثم عمل عادلا بنظارة الأحباس بمدينة مراكش، تقلد منصب كاتب خاص للخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ سنة 1902 م، وفي سنة 1906 عين كاتبا لدى الصدر الأعظم محمد بن كبور، في البدايات الأولى من حكم السلطان عبد الحفيظ، وظل في عمله بدار المخزن في كل من فاس والرباط، وعمل إلى جانب الصدر المدني الغلاوي ثم الصدر الحاج محمد الحياطي وعمل إلى جانب الصدر الحاج محمد المقري، ونظير إخلاصه وتفانيه وجهده منحت له من طرف الصدر الأعظم الجباص شهادة حسن السيرة.(17)

إن أبناء الجالية الجزائرية الذين أوكلت لهم مهام كتاب العدل أو القضاة، ساهموا مساهمة كبيرة في إرساء قواعد العدل والمساواة وإنصاف ذوي الحقوق والمظلومين، عبر مختلف المدن المغربية، حتى وإن كان طرف النزاع والخصومة فيها من أبناء جلدته من أفراد الجالية الجزائرية، ورغم ذلك التزموا بالعدل والنزاهة، ومارسوا وظيفتهم بكل إخلاص وتفاني دون أن تشار الأصابع بالشك أو المحاباة أو التحيز.(18)

ومن هؤلاء القضاة سيدي المختار بن روكش، الذي اشتغل بالقضاء في مدينة وجدة إلى أن أدركته المنية بها، ويوصف بأنه كان قاضيا مخلصا ذو سخاء ومروءة وله سياسة انفرد بها في الفصل بين العامة، وبها أحبته الدولة وأعجبتها سيرته وله من المفاخر الكثير فكان قاضيا عادلا إلى أن وافته المنية رحمه الله.(19)

وكذلك القاضي سيدي الهاشمي بن أبي مدين بن روكش، الذي كان شخصية لها مكانتها، حيث تولى العديد من مناصب القضاء منها ناظرا للأحباس والأوقاف في مدينة وجدة وكان ذلك في مستهل رجب 1291 هـ الموافق لـ 14/ 08 / 1874، واستمر في ممارسة مهامه في هذا المنصب إلى غاية 23 أفريل 1893 م،(20) ومن المهام التي أوكلت إليه أيضا مهمة الاهتمام بشؤون الفقراء من المهاجرين الجزائريين، وحتى الفقراء المغاربة والقيام بتوزيع 100 ريال على الفقراء منهم حسب الظهير الملكي المؤرخ في 04 ماي 1890م، كما أنيطت له مهمة العدالة وقبول الشهادة واستمر يمارس هذه المهمة إلى غاية 14 فيفري 1926 حيث أدركته المنية، كما تولى سيدي الهاشمي بن أبي مدين بن روكش منصب القضاء

بوجدة بموجب ظهير ملكي بتاريخ الأربعاء 15 ماي 1907.(21)

ومن القضاة أيضا سيدي الغوشي بن محمد بن باص،(22) الذي تولى رسم العدالة وقبول الشهادة في حاضرة وجدة، وكان من جملة الفقهاء التلمسانيين المهاجرين بوجدة التي شملتهم الأمرية السلطانية بتاريخ 05 جويلية 1894، وكذلك سيدي بوعزة بن الحاج محمد البوشيخي الذي تولى خطة القضاء ببركان وكان لا يزال عليها إلى غاية 22/07/ 1925.(23)

تواجد الجزائريين في الدوائر الوزارية والدبلوماسية :

إن المتتبع لتاريخ المغرب الأقصى خلال هذه الفترة، يصل إلى نتيجة مفادها أن سلاطين المغرب استوزروا العديد من أبناء الجالية الجزائرية، وولوهم مناصب دبلوماسية وقيادية رفيعة وهذا لن يتأتى إلا بالكفاءة والعلم والثقافة، التي يجب أن تتطلبها مثل هذه المناصب ومن جهة أخرى درجة الثقة والولاء والاحترام الذي كان موجودا بين سلاطين المغرب وأبناء الجالية الجزائرية، وللإشارة فإن وزارات السيادة المغربية والمهمات والبعثات الحساسة مع مختلف الدول كانت تسند إلى الجزائريين دون سواهم أو المغاربة من أصول جزائرية، وهذا ما يكس مكانة وقيمة وتجذر هذه العائلات في المجتمع والمخزن المغربي .(24)

من الذين تقلدوا مناصب دبلوماسية كبيرة قدور (عبد القادر) بن غبريط،(25) الذي كان مترجما بالقنصلية الفرنسية منذ شهر سبتمبر1892، إلى غاية فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، ويكون هو من تولى ترجمة مواد عقد الحماية للسلطان عبد الحفيظ، اشتغل بن غبريط في مهام دبلوماسية نظرا لحنكته واطلاعه الواسع، فكان على رأس سفارات في باريس وسان بترسبورغ، وربطته هناك علاقات جيدة مع حكومتها، وتم تعيينه لاحقا في اللجنة التي رسمت وخططت الحدود بين المغرب والجزائر بين سنتي 1902 و1903م،(26) كما أن بن غبريط ساهم مساهمة كبيرة في تأسيس المدرسة العربية- الفرنسية بطنجة، التي كان يتمدرس بها عدد كبير من تلاميذ الجالية الجزائرية عام 1905.(27)

نظرا لكفاءته أرسل ضمن الوفد المغربي برئاسة الصدر الأعظم الحاج محمد المقري باتجاه فرنسا عام1910، بصفته كبير المترجمين، قصد التفاوض مع الفرنسيين بخصوص المسألة المالية بين البلدين، ثم أرسل ثانية إلى باريس ضمن البعثة في شهر أوت 1911 فضلا عن القيام بالمهمات الدبلوماسية داخل المغرب، خاصة إذا تعلق الأمر باستقبال الوفود والبعثات الأجنبية، وتم تكليفه في العديد من المرات بعدة مهام في المدن والحواضر المغربية، وفي سنة 1916، عين بن غبريط على رأس البعثة المغربية إلى الحجاز وذلك في شهر سبتمبر من نفس السنة لأداء فريضة الحج.(28)

التقى قدور بن غبريط شريف مكة (الشريف حسين) والذي ساهم من خلال تواجده في توفير شروط الإقامة المريحة لأفراد البعثة، وقام باتصالاته هناك وسهل للبعثة كل إجراءات

ومناسك الحج، وحتى تدبير كل إجراءات العودة للبعثة، قام بن غبريط بعدها بدراسة وجرد الأحباس الإسلامية وإعداد مداخيل حولها وفي 1917م تم تعيينه رئيسا لجمعية الحبوس والأماكن المقدسة، ولقد استطاع بفضل تسييره الحصول على رضاء الجميع من رجال الدين وأعوان المخزن.

كما أسندت له مهام إدارة التشريفات السلطانية مكلفا بالأوسمة والبروتكول، ثم عين على رأس إدارة أحباس الحرمين الشريفين بشمال إفريقيا، وفي سنة 1925 تم تعيينه وزيرا كامل الصلاحيات بعد أن تقلد منصب القنصل الأكبر للوسام العلوي والرئيس الأول للبرتوكول الخاص بالسلطان بن يوسف وصاحب المهام الكبرى.(29)

تقلد ابن غبريط في نهاية عهده إدارة وتسيير المعهد الإسلامي ومسجد باريس الكبير ابتداء من سنة 1925، واستمر في نصبه إلى غاية أن وافته المنية سنة 1954.(30)

ومن أبناء الجالية الجزائرية الذين تقلدوا منصب الوزارة السيد محمد المقري، الذي ولد بمدينة فاس سنة 1860 م، ودرس بجامعة القرويين التي تحصل فيها على جميع شهاداته العليا، سافر بعدها إلى العديد من عواصم العالم العربي والإسلامي منها القاهرة ودمشق ومكة، تقلد العديد من المناصب والوظائف الإدارية والمخزنية إلى أن صعد في سلم المسؤولية فأصبح وزيرا ثم صدرا أعظما، وقد عينه السلطان مولاي عبد العزيز وزيرا للمالية سنة 1906، ارتحل إلى أوروبا وهو الذي مثل المغرب والسلطان في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906.(31)

كما أوكلت له مهام كبيرة في بلاط السلطان وأصبح محل ثقة كبيرة لدى المخزن، بل تحول إلى الرجل الأول في بلاط السلطان بسبب درايته بشؤون التسيير ووفائه وخبرته وحسن تدبيره للأمور، وذكره السليماني بقوله: «... وقد حل منهم في سماء الوزارة من إدخره الله لوقت صادف فترة من الأحرار والنجباء النظار أبو الطيب الأمجد الوزير السيد محمد محلل الشبهات بالفكر الثاقب ومذلل الصعاب بالرأي الصائب، فقام بأعبائها ..»(32)

وفي مؤتمر الجزيرة الخضراء تلا محمد المقري خطابا هاما أمام الحضور، ومما جاء فيه مايلي: «... إن قضية الإصلاح بالمغرب وتمويله وكيفية إخضاعه لشروط لا تتنافى مع ما تنص عليه الديانة الإسلامية، وتحترم التقاليد والأعراف الموروثة ...»(33)

وفي سنة 1911 عينه السلطان مولاي بن يوسف صدرا أعظما (الوزير الأول)، كما أوكل لأخيه الطيب المقري منصب وزير المالية وهذا بأمر وموافقة السلطان بن يوسف.(34)

وبعد مكيدة مدبرة من طرف أحد الأعيان الطامعين في تولي منصب الوزارة قام الجنرال الفرنسي «ليوتي» بعزله من منصبه وتعيين محمد الجباس صدرا أعظما خلفا له.(35)

ويتحدث الباحث محمد أمطاط عن سبب عزل محمد المقري من منصبه من طرف المقيم العام الفرنسي، ويرجع حسبه إلى جشعه وإلى عمليات اختلاس قام بها المقري، كشف أمرها

بعض الأعيان كانت سببا في عزله وتنحيته من منصبه فيقول: «... أصبح محمد المقري منذ سنة 1911، بعد أن تخلى عن وزارة المالية لأخيه الطيب، وعين ولده حماد باشا على فاس وكان ذلك إيذانا بأن الجناح الموالي للفرنسيين في المخزن، قد تم تهيئته لتدعيم المشروع الفرنسي بإلحاق المغرب تحت المظلة الاستعمارية ... و أول قرار اتخذه ليوتي هو إبعاد محمد المقري الصدر الأعظم عن جهاز المخزن، بعد اكتشاف عمليات اختلاس قام بها في أكتوبر 1912 وبنائه منزلا فخما على أراضي الأحباس في مدينة الرباط...» (36)

لقد عبر أمطاط عن حقد دفين نحو الجزائريين منهم محمد المقري وقبله على الأمير عبد المالك وعلى علي الحمامي وعلى قدور بن غبريط ...، فسهام حسده مصوبة نحو كل ما له انتماء جزائري، ولعل ذنبهم في ذلك أنهم إطارات لها كفاءة وقدرة وتأهيل وتملك ناصية اللغات الأجنبية، التي لم تكن متوفرة لدى المغاربة آنذاك، مما دفع بالصدر الأعظم الجديد محمد الجباس للذهاب للجزائر والاستنجاد بأبنائها، لتغطية العجز الكبير في دواليب الإدارات المغربية، حيث قام بزيارة إلى الجزائر عام 1915 لجلب الأطر التقنية والمترجمين وهو ما يدحض كل رأي مخالف لذلك،(37) لم يكتف أمطاط بهذه الاتهامات بل بيّن حقده على الكفاءة الجزائرية باتهامهم تارة بالجوسسة وتارة بالخيانة، وتارة بالعمالة والتواطؤ مع إدارة الحماية بالمغرب، فيقول عن ذلك: «...برز التواطؤ الواضح للمقري وقدور بن غبريط مستشار السلطان والمستشار السري للجمهورية الفرنسية، في إرغام مولاي عبد الحفيظ على توقيع اتفاقية الحماية الفرنسية على المغرب في 30 مارس 1912 ...» (38)

لقد امتلأ قلب أمطاط وباحثون آخرون حقدا على كل شخصية جزائرية، سواء أكانت سياسية أو عسكرية أو تشتغل في الترجمة أو الإدارات المخزنية، ولم يسلم من حسدهم وذاتيتهم السيئة والمقيتة حتى العلماء والفقهاء، فقد حمّل أمطاط وأقرانه، محمد المقري وقدور بن غبريط مسؤولية فرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى بإبرام معاهدة الحماية المعروفة ... ونتساءل ألم يكن هذا افتراء وادعاء لا مبرر لقبوله؟ إلا الغيرة و الحسد.

فكيف يعلم سلاطين المغرب الأقصى بتواطؤ وخيانة هؤلاء، وتآمرهم مع إدارة الحماية الفرنسية، ويقلدونهم المناصب والمسؤوليات الواحدة تلو الأخرى، بل أشرف محمد المقري على أصعب وأشق المسؤوليات والمهام، بتكليف من السلطان ولم يثق البلاط السلطاني في أي مغربي آخر لعلمهم مسبقا بمحدودية الكفاءة والمؤهل لدى جل المغاربة، خلال تلك الفترة الحرجة والصعبة في تاريخ المغرب الأقصى المعاصر.

كما أنني أدفع تلك الافتراءات والاتهامات ضد محمد المقري وقدور بن غبريط الموجه لهم من طرف الباحث أمطاط لسبب بسيط، وهو أن هؤلاء لم يكن لهم ليكونوا في تلك المناصب لولا تزكية السلطان لهم وتأييده الكبير للمهام المنوطة بهم، فربما تآمر هؤلاء مع فرنسا ضد المغرب لكن بعلم السلطان في حد ذاته...إن تم التسليم بذلك !!!.....

فمحمد المقري (الصدر الأعظم) لم يكن بمثل هذه المواصفات والسلوكات التي ذكرها أمطاط، حيث يذكر لنا المؤرخ الكبير ابن زيدان بكل موضوعية صفات خلاف ما ذكر

أمطاط «...إن إعفاء المقريين يعود إلى ما أظهره محمد المقري من تصلب في مواقفه ضد الفرنسيين، عندما أقنعهم بأن معاهدة فاس لا تبيح لهم حكم المغرب حكما مباشرا...»، ومن هنا يظهر سبب عزل الصدر الأعظم محمد المقري من منصبه من طرف المقيم العام « ليوتي»، لأنه وببساطة وقف في وجه المصالح الفرنسية في العديد من المرات وبالتالي فإن سبب اعتراض فرنسا عليه ليس كما ذكره أمطاط أن عزله كان بسبب الاختلاس وبناء منزل فخم في الرباط على أرض محبوسة ، إنما لكونه دافع عن مصالح المغرب الأقصى.

في سنة 1917 تم تعيين محمد المقري من جديد في منصب الصدر الأعظم، واستمر في هذا المنصب حتى فجر استقلال المغرب الأقصى سنة 1956، واستمر محمد المقري في منصبه هذا حوالي 40 سنة،(39) ونجح نجاحا كبيرا في إدارة كل الأزمات المالية والسياسية التي أحيكت ضد المغرب وهو الذي أدار بنجاح مفاوضات الاستقلال وأقنع كل الأطراف بتبني خيار المفاوضات وانتهى عمله بأن تحصل المغرب الأقصى على استقلاله سنة 1956 وأصبح هذا البلد الذي تعرض لاستعمار مزدوج اسباني- فرنسي بلدا مستقلا بفضل حنكة وخبرة ودهاء ابن الجالية الجزائرية محمد المقري دون إراقة كبيرة للدماء في المغرب ليكون وبلا منازع الرجل الوطني الذي دافع عن هويته ووطنه ودينه، وقد وافته المنية رحمه الله سنة 1957.(40)

ومن أبناء الجالية الجزائرية أيضا الذين استوزرهم سلاطين المغرب الأقصى، الحاج الطيب المغربي ابن الحاج محمد المقري الذي تولى العديد من الوظائف والمناصب المخزنية وتدرج في سلم الإدارة إلى أن أصبح وزيرا للمالية في عهد السلطان عبد الحفيظ .(41)

وهذه شهادة تحسب له من طرف المغاربة جاء فيها: «...أما أنجال هذا الوزير – محمد المقري- والشهم الذي ليس له نظير فالنجوم الزواهر والسيوف البواتر ،منهم الهمام الأنجب ناظر المالية الطيب المقري أيد الله مجدهم وأعلى كفتهم .....» (42)

واستمر السيد الطيب المقري في منصبه وزيرا للمالية عقدا من الزمن و نجح في إدارة الأزمات المالية الخانقة التي مر بها المغرب الأقصى في الفترة ما بين (1930-1920) توفي الطيب المقري يوم الأربعاء 17 محرم 1369 الموافق ل 05 ماي 1950م.

ومن الجزائريين الذين تدرجوا في المسؤولية أيضا وتقلدوا مناصب وزارية نذكر محمد معمري الزواوي الذي ولد في تيزي وزو نهاية القرن 19 ،هاجر إلى المغرب الأقصى سنة 1908 في إطار احتياجات المغرب الأقصى للأطر والمترجمين الجزائريين وذلك قصد تدريس اللغة الفرنسية ،شرع في تأسيس المدرسة الفرنسية العربية وكان مشرفا ومديرا عليها إلى غاية فاتح ذي القعدة 1330ه الموافق لـ 12 أكتوبر 1912،(43) ومن المهام التي كلف بها محمد معمري الزواوي أيضا، أمين مترجم بالإقامة العامة، كلف بالتنسيق بين إدارة الحماية الفرنسية والمخزن ،كما عين في 15 نوفمبر 1915 زيادة على وظيفته الأصلية كمترجم باللغة الفرنسية معلما لأنجال السلطان مولاي يوسف، ومن أبنائه نجله محمد الخامس،(44) ثم عين محمد معمري الزواوي مديرا للبروتوكول والقنصلية ، وبعد ما

تولى الملك محمد الخامس العرش العلوي في 18 نوفمبر 1927 عينه رئيسا لديوانه الخاص مكلفا بعائلته الملكية ومصالح القصور مع تعيينه مديرا للتشريعات والأوسمة، وفي سنة 1950 عينه الملك محمد الخامس وزيرا لمصالح القصور والتشريعات مع النيابة عن وزير الأوسمة.

عندما نفي الملك محمد الخامس في 20 أوت 1953، استقال محمد معمري الزواوي من وظيفته والتحق بالجزائر حيث بقي هناك سنتين، وطيلة مدة نفي الملك محمد الخامس كتب معمري الزواوي عدة مقالات عارض فيها السياسة الفرنسية في الجزائر والمغرب وانتقد فيها إدارة الحماية ونفي الملك محمد الخامس، وبعد عودة الملك محمد الخامس من منفاه بمدغشقر في 16 أكتوبر 1955 ،اتصل به وعينه في وظيفته الأولى وولاه وزيرا لمصالح القصور والتشريعات والأوسمة.(45)

ومن خلال هذه النماذج الجزائرية الخالصة التي رصدناها سواء في الهياكل الإدارية المغربية أو الدوائر الوزارية المختلفة و حتى الدبلوماسية نصل إلى حقيقة هي قوة الحضور الجزائري في مفاصل الدولة المغربية التي لم تستطع الاستغناء عن تلك الكفاءات لحاجتها الماسة إليها.

الهـوامش:

1ـمحمد المنوشي، صلات مغربية ثقافية وروحية مع الأمير عبد القادر و نخبة من المهاجرين، ندوة الحركة السلفية في المغرب الأقصى، مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية، أصيلة، مارس 1989 ، ص 106.

2ـ بدر المقري، خطط المغرب الشرقي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 2006، ص 354.

3ـ محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين 1962 – 1830، ط1 ،دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2008 ، ص 165.

4ـ محمد يعيش، المهاجرون الجزائريون في المغرب الأقصى ودورهم في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1962 – 1930، أطروحة نيل دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2009 ـ 2010 ، ص 84.

5ـ زين العابدين العلوي، المغرب في عهد السلطان الحسن الأول، ج2، المطبعة الورقية، الرباط، 2008، ص 135.

6ـ حول هذه الشخصية ودورها ونشاطاتها راجع: الشيخ أبو عمران و آخرون ، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995، ص ص 473 ـ474.

7ـ أبو عبد الله السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ، مطبعة الأمنية،

ط1 ،الرباط، 1982 .، ص 31.

8ـ بدر المقري ، خطط المغرب الشرقي، ط1.وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب،2006 ، ص 35.

9ـ نفسه ، ص 34

10ـ نفسه، ص 35.

11ـ قاصري محمد السعيد ، المهاجرون الجزائريون و دورهم السياسي و الاجتماعي في المغرب الأقصى 1830 – 1930، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، ـ2007 2008،قسم التاريخ جامعة قسنطينة، ص 301

12ـ ابراهيم حركات، التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 23.

13ـ السليماني، اللسان المعرب، المصدر السابق، ص 34.

14ـ حاولت البحث عن تراجم هؤلاء القضاة في بعض المعاجم أو المراجع المغربية أو الجزائرية إلا أنني وقفت عاجزا حول تحقيق الهدف المنشود واكتفيت ببعض المعلومات البسيطة حول تلك الشخصيات

15ـ السليماني، اللسان المعرب، مصدر سابق، ص 35.

16ـ معلمة المغرب، مج رقم 16، ص 5335.

17ـ معلمة المغرب، مج رقم 16، ص 5336.

18ـ المقري، خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص 49.

19ـ نفسه، ص 61.

20ـ نفسه، ص 62.

21ـ نفسه، ص 62

22ـ اسرة آل الباص هاجرت الى المغرب في شهر أوت 1830 أصولها من ضواحي مدينة تلمسان، راجع: هلال عمار، العلماء الجزائريين في البلدان العربية والإسلامية، د.م.ج، ط2، 2010ص 216.

23ـ المقري، المرجع السابق، ص 201.

24ـ يعيش، المرجع السابق، ص 83.

25ـ ولد عبد القادر غبريط سنة 1872، بتلمسان التحق بالخدمة العسكرية الفرنسية، عين سنة 1902 مترجما بالمفوضية الفرنسية بطنجة، ترجم الاتفاقيات بين المغرب و فرنسا، أصبح مديرا للتشريفات السلطانية، ثم وزيرا ثم مديرا للمعهد الإسلامي بباريس في 1926 إلى وفاته 1954

26ـ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص 411.

27ـ العلوي، المرجع السابق، ص 311

28ـ يوسف مناصرية، تقرير السيد مصطفى الشرشالي عن البعثة الفرنسية إلى الحجاز سبتمبر 1916»، مجلة الثقافة، ع 89، سبتمبر / أكتوبر 1985، موفم، الجزائر، 1985، ص ص 120 – 125.

29ـ زين العابدين العلوي، ج 2، المرجع السابق، ص 63.

30ـ ساهم بن غبريط في بناء المعهد الإسلامي و مسجد باريس وتحول بعد ذلك إلى احد أهم المراكز و الأقطاب الإسلامية في أوروبا و اضطر إلى جمع أموال الأوقاف لاستكمال انجازه ، راجع العلوي، المرجع السابق، ص 311.

31ـ يعيش، المرجع السابق، ص 83

32ـ السليماني، اللسان المعرب، المصدر السابق، ص 30

33ـ سيمو بهيجة ، الإصلاحات العسكرية المغربية،1912 – 1844، الرباط، 2004، ص 238.

34ـ المقري، خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص 355.

35ـ هو أحد أبناء الأسر الفاسية المهتمة بالتجارة، كان عمره 65 سنة عندما عين صدرا أعظم، له ثقافة اوروبية تعلم اللغة الأنجليزية في مدرسة طنجة، ودرس سنتين في جامعة اكسفورد، عاد إلى المغرب عام 1880، عين ترجمان في المخزن شارك إلى جانب المقري في مؤتمر الجزئرة الخضراء، تم تعينه صدرا أعظم سنة 1913، زار الجزائر لجلب الأطر الإدارية و الفنية و التعليمية لتأطير مختلف الإدارات و المؤسسات المغربية و المدارس سنة 1915. راجع، علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، دار loutou ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008 ، ص 51

36ـ أمطاط، المرجع السابق، ص ص 166ـ167

37ـ علالي محمود ، المرجع السابق، ص 51

38ـ أمطاط، المرجع السابق، ص166.

39ـ المقري، خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص 340.

40ـ يعيش، المرجع السابق، ص 83.

41ـ أمطاط، المرجع السابق، ص 168.

42ـ السليماني، اللسان العربي، المصدر السابق، ص 31.

43 ـ محمد بن معمر الزواوي، حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر العرش العلوي، المطبعة الملكية الرباط المغرب، 1964 ، ص 14 .

44ـ نفسه ، ص 114.

45ـ نفسه، ص 86.

المراجع (البيبليوغرافيا)

محمد المنوشي، صلات مغربية ثقافية وروحية مع الأمير عبد القادر و نخبة من المهاجرين، ندوة الحركة السلفية في المغرب الأقصى، مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية، أصيلة، مارس 1989

بدر المقري، خطط المغرب الشرقي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 2006

محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين 1962 – 1830، ط1 ،دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2008

محمد يعيش، المهاجرون الجزائريون في المغرب الأقصى ودورهم في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1962 – 1930، أطروحة نيل دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2009 ـ 2010

زين العابدين العلوي، المغرب في عهد السلطان الحسن الأول، ج2، المطبعة الورقية، الرباط، 2008

الشيخ أبو عمران و آخرون ، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995

أبو عبد الله السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ، مطبعة الأمنية، ط1 ،الرباط، 1982

بدر المقري ، خطط المغرب الشرقي، ط1.وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب،2006

قاصري محمد السعيد ، المهاجرون الجزائريون و دورهم السياسي و الاجتماعي في المغرب

الأقصى 1830 – 1930، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، 2008-2007 ،قسم التاريخ جامعة قسنطينة

ابراهيم حركات، التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1994

معلمة المغرب، مج رقم 16

هلال عمار، العلماء الجزائريين في البلدان العربية والإسلامية، د.م.ج، ط2، 2010

سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، م.و.ك، الجزائر، 1985

يوسف مناصرية، تقرير السيد مصطفى الشرشالي عن البعثة الفرنسية إلى الحجاز سبتمبر 1916»، مجلة الثقافة، ع 89، سبتمبر / أكتوبر 1985، موفم، الجزائر، 1985.

سيمو بهيجة ، الإصلاحات العسكرية المغربية،1912 – 1844، الرباط، 2004،

علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، دار loutou ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008

محمد بن معمر الزواوي، حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر العرش العلوي، المطبعة الملكية الرباط المغرب، 1964

بن عدادة اسيا ، الفكر الإسلامي في عهد الحماية (محمد بن الحسن الحجوي نموذجا) ط 1 المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب 2003

ليفي بروفينسال «مؤرخو الشرفاء « مجلة البحث العلمي ،تعريب عبد القادر الخلادي ، ع 26 جويليةديسمبر 1976 المعهد الجامعي للبحث العلمي ،الرباط المغرب